

حجر في « الإصابة » و« تهذيب التهذيب » . وابن سعد في طبقاته ليس رواية لحادثة مؤرخاً لها فحسب ، ولكنه ناقد كذلك فهو يروى ما يرويه ثم يتبعه ببيان ما يراه من الوجه الصحيح عنده ، فمثلاً يروى رواية تفيد أن النبي ﷺ بكى عند قبر أمه لما فتح مكة ، ثم يقول : وهذا غلط وليس قبرها بمكة وقبرها بالأبواء .

ويذكر لبعض الرواة أن والد رسول الله ﷺ توفي بعد ما أتى على الرسول ثمانية وعشرون شهراً ويقال سبعة أشهر ، ثم يعلق على ذلك بقوله : والأثبت أنه توفي ورسول الله ﷺ حمل . ولعله لما تشتمل عليه طبقات ابن سعد من أمور شتى تتعلق بحياة العرب والمسلمين فقد عنى بها جماعة من الألمان فنشروها كما أعيد طبعها في بيروت .

وكتاب الطبقات الكبرى لابن سعد ليس كتاباً يقدم للقراء إنما هو كنز من المعرفة لا ينصب ، يجد فيه الباحث عن حياة رسول الله ﷺ ، عن سيرته وعن خلقه وعن الهدف من رسالته ، وحسبه أن يقرأ ما كتب عنه في التوراة فقد قال عنه كعب الأحمري : « إن نعت محمد رسول الله ﷺ في التوراة : محمد عبدى المختار لا فظ ولا غليظ ولا صخوب في الأسواق ولا يجزى بالسيئة السيئة ولكنه يعفو ويغفر ، مولده بمكة ومهاجره بالمدينة وملكه بالشام » .

ويقول عنه عبد الله بن سلام : « إن صفة رسول الله ﷺ في التوراة : يأبىها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وحرزاً للأميين ، أنت عبدى ورسولى سميتك المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا صخب بالأسواق ولا يجزى بالسيئة بالسيئة ولكن يعفو ويصفح ولن أقبضه حتى أقيم به الملة المتعوجة بأن يقولوا لا إله إلا الله ، فسيفتح به أعينا عميا ، وآذانا صما وقلوبا غلفا » .

وعن قتادة قال : بلغنا أن نعت رسول الله ﷺ في بعض الكتب « محمد رسول الله ليس بفظ ولا غليظ ولا صخوب في الأسواق ولا يجزى بالسيئة مثلها ولكن يعفو ويصفح ، أمته الحمادون على كل حال » .

إن كتاب الطبقات الذى أسعدنا كثيراً أن نقدمه إنما هو كما قلنا موسوعة جامعة ومعين فياض يغترف منه ذو المعرفة وأصحاب الأقلام ليقدموا للناس